ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.tu.edu.iq
JTUH
مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية
Journal of Tikrit University for Humanities
كليـــة التربية للعلوم الانسانية
College of Education for Human Sciences

ARTISTIC CREATION BY DR ISSA AL-BAYE ABOUBAKAR

Dr: Abbo Souleymanou

E.N.S UMa, Rep. du Cameroun

* *Corresponding author: E-mail* :
abbo.lawana@gmail.com

***Keywords*:**
Issa Al-Baye Aboubakar;
artistic creation;
African poetry of Arabic expression;
African society;
the African world

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 6 June. 2021
Accepted 16 July 2021
Available online 13 Oct 2021
E-mail
journal.of.tikrit.university.of.humanities@tu.edu.i
E-mail : adxxxx@tu.edu.iq

A B S T R A C T

Dr Issa Al-Baye Aboubakar is a great poet, a scholar of African poetry of Arabic expression. He began to compose verses from early childhood and remained steadfast until his genius blossomed and his poetry reached the highest level of perfection. His poetry is distinguished by an adequate introduction, the strength of the imagination, the exceptional power of creativity and the unity of the theme developed. He has received many prizes, first and foremost the First Prize for the poetry competition organized in 1991 by King Saud University in Riyadh as part of the activities of the "awareness of the harmful effects of smoking" week. He was awarded a Medal of Honor in 2014 by the Arabic Language Department at Kwara State University. His poems have been published in several scientific journals in Nigeria and the Arab world.This research aims to study the best productions of this great African poet, a gifted and prolific poet, in order to highlight his contribution to the development of Arab literature.His poetry is inspired by classic masterpieces of Arab literature and is characterized by a general lexicon and often specific to its environment (West Africa), the clarity of style, the coherence of ideas, the strength of imagination and lyricism. This poet was strongly influenced by the ideas of his great masters.This work revolves, in addition to the introduction and the conclusion, around two points namely the biography of Dr Issa Al-Baye Aboubakar and the analysis of some of the author's productions. The conclusion presents the main results achieved by the researcher.The descriptive, analytical and historical approach was used in this work. It is actually a comprehensive approach that relies on several explanatory paradigms in order to better define the object of study for a better analysis.

© 2021 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.28.2021.04

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

الدكتور عيسى ألبي أبوبكر وإبداعاته الفنية

الدكتور أبُّو سليمانُو/ أستاذ الأدب والنقد المساعد / المعهد العالي لإعداد المعلمين جامعة مرْوَا جمهورية الكاميرون

الخلاصة:

يعد الدكتور عيسى ألبي أبوبكر فحلا من فحول الشعر العربي الإفريقي، وفارسا من فرسانه المتحكمين

فيه. قال الشعر مذ كان يافعا، وظل مواظبا على قوله وتجويده وتصقيله حتى قويت شوكته وتفجرت ينابيعه، فامتاز شعره بحسن الديباجة، وقوة المخيلة، والمقدرة الإبداعية النادرة، والوحدة العضوية والموضوعية. وقد نال بالشعر جوائز كثيرة، أعلاها الجائزة الأولى في المسابقة الشعرية التي نظمتها جامعة الملك سعود بالرياض ضمن فعاليات أسبوع التوعية حول مضار التدخين عام:١٩٩١م، ووسام التقدير الذي قلدته إياه شعبة اللغة العربية بجامعة ولاية كُوَارَا عام ٢٠١٤م. وقد نشرت قصائده في مجلات علمية كثيرة في نيجيريا وبلاد العرب.

فقصائده، تميل إلى اتباع القدامى في الأبنية والتراكيب، فمفرداتها ضاربة في القدم، وبعضها معبر عن البيئة (غربيّ إفريقيا) وأماكنها، وكما وأن معظم قصائده تتصف بالسهولة والرصانة إلى جانب بساطة التراكيب وتسلسل المعاني، وجودة الأسلوب، ويمتاز شعره أيضاً بالجودة الأدبية، وقوة الخيال وامتلاؤه بالأحاسيس النفسية والوجدانية، وقد تأثر دكتور عيسى ألبي بالعلماء الذين أسهموا في بناء شخصيته.

وقد جاء هذا البحث في: مقدمة، ومطلبين، وخاتمة، المطلب الأول؛ تحدّثت فيه عن حياة الشاعر الدكتور عيسى ألبي أبوبكر، بذكر شيء عن حياته بإيجاز، والمطلب الثاني: عرضت بعضا من نماذج شعره، أما الخاتمة فذكرت فيها أهم نتائج البحث.

هذا وقد اتبعت المنهج الوصفي التحليلي عند دراسة النصوص، كما سلكت المنهج التاريخي في دراسة حياة الشاعر، بما يمكنني أن أزعم أنني اعتمدت بشكل أو بآخر على المنهج التكاملي، إذ رأيته أوفى المناهج لحمل أعباء الدراسة في أقسامها المختلفة.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله أهل الحمد والثناء، والصلاة والسلام على النبي القائل: "إن من الشعر لحكمة"، ثم الرضا عن آله المشهود لهم بالسبق في حلبة الفصاحة، وأصحابه الفائقين في مناهج البيان، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد...

الأدب فن إنساني رفيع، يصوّر الكون وما ينطوي عليه من الكائنات الحيّة والميتة تصويرا يتفاعل مع أحداث الزمن، ويتأثر بحوادثه، فهو كتاب تتلو الأجيال المتعاقبة على صفحاته كل صغيرة وكبيرة مما يستجد في عصر الأديب وبيئته.

والأديب الناجح من يحقق عمله هذه الغاية السامية ويتجاوب مع متطلبات الزمان والمكان. والشعراء قديمهم وحديثهم في فلك يسبحون، وفي فضاء خيالي يطيرون؛ يتبادلون الآراء، ويتناوبون الأفكار ويحاكي بعضهم بعضا، وإن كانوا ينهلون من منابع مختلفة، ويستمدون من مصادر متباينة.

الأديب بين المحاكاة والتجديد المحاكاة–كما يقول ابن جني– قديمة قدم الإنسان، يقول: "وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات، كدوي الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء، ونهيق الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ورزيب الظبي، ونحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد، وهذا عندي وجه صالح، ومذهب متقبل"(١).

وذهب أفلاطون قبله المذهب نفسه؛ فالشعر عنده ضرب من ضروب المحاكاة أو التقليد، والشاعر مقلد، ولكنه لا يلد الحقائق وحدها، بل يقلد ظواهر الحياة الجارية(٢).

فإذا كانت المحاكاة تمثل طورًا أساسيًا في حياة الإنسان فإن حب التجديد لا يقل عنها خطورة، إذ جُبل الإنسان عليه. لقد ثار شعراء صدر الإسلام على الشعر الجاهلي، وذهبوا بالشعر مذهب إسلاميا، وحاول الشعر في العصر الأموي أن يتجدد لا في لفظه ومعناه فحسب، بل فيهما وفي الموضوع أيضا، وكان تجدده ملائما كل الملاءمة لتجدد الحياة. وفي العصر العباسي سلك الشعراء طريقا تكاد تخالف كل المخالفة طريقة أيام بني أمية. فالمحاكاة والتجديد إذن غريزتان قويتان في الإنسان، وظاهرتان طبيعيتان تتحكمان في الأديب ونتاجه، وقد خضع لهما الشعراء في كافة البلاد على مر العصور.

ويذكر أن معظم نتاجات الشعراء في إفريقيا جنوب الصحراء حتى أواسط القرن العشرين الميلادي كانت محاكاة للشعر العربي القديم، فقد كانوا يقصدون إلى المحاكاة قصدا تشبها بالشعراء الإسلاميين، ويريدون أن يتقمصوا روح كل ما يمت إلى الإسلام بصلة(٣). بيد أن محاكاتهم ليست بدعة، فما من شاعر قديم أو حديث إلا وتأثر على الأقل، في بداية نظمه بالشعر التقليدي.

وفي أواسط القرن العشرين الميلادي أخذت طلائع النهضة الحديثة تظهر على أيدي الشيخ الوزير جنيد بن محمد البخاري، والقاضي عمر إبراهيم وغيرهما ممن اطلعوا على النهضة الشعرية الحديثة في بلاد العرب والغرب، لقد تحرر هؤلاء وأبدعوا في أفكارهم ومعانيهم وأخيلتهم، وحذا حذوهم كوكبة من الشعراء الشباب أمثال الدكتور عيسى ألبي أبوبكر في نيجيريا، والدكتور عمر الفال في تشاد، وبرهان مكلا، ولم يخرجوا على نظام القصيدة العربية القديمة شكلا ومضمونا .

وليس من السهل أن نفرق بين العلماء والأدباء، فالعلماء هم الأدباء، وهم قادة الفكر، وهم الذين يقومون بتدريس الدين، واللغة، والأدب. وليس هناك فرق عندهم بين هذا الفن وذاك، إذ أن الفنون كلها تهدف إلى غاية واحدة، وهي الدين الإسلامي، فهدفهم الرئيس في التعليم كله هو أن يتفقّهوا في الدين، لأنهم كانوا يريدون أن يحيوا حياة دينية، فتعليم اللغة العربية ليس غاية في ذاته، وإنما هو وسيلة لفهم الدين.

ولقد عكف العلماء على تعلم اللغة العربية، وتعلموها لغة، وأدباً، وألَّفوا بها كتبا كثيرة في شتى الفنون، وكان من بين العلماء نفر مالوا بطبيعتهم إلى الادب، فدرسوا ما وصلهم من كتب الأدب، دراسة وافية، وجعلوا يتذوقونه، ويستلذونه ويحاولون محاكاته، ولكنهم، في كل ذلك، لم يكونو يدرسون الأدب

بوصفه مستقلا بنفسه؛ بل على أنه جزء من تلك الثقافة الدينية، التي يهدفون إليها؛ وذلك لأن لغتهم لم تكن العربية، ولكن تمسكهم بالدين، كان يدفعهم إلى تعلمها، واتقانها، ثم جعلهم الشعور بالإتقان يلتمسون الانتماء إليها عن طريق التعليف الادبي، شعرا ونثرا.

فالعلم والأدب اذن شيئان لا ينفصلان عندهم، فالأدباء أكثرهم علماء، ولقد انتج العلماء والأدباء كثيرا من فنون شتى، فألفوا كتبا ورسائل، عالجوا فيها كثيرا من المشكلات الدينية، والاجتماعية، والسياسية، والتاريخية، وكان لبعض العلماء ميول أدبية، ساعدتهم على التأليف في مجال الشعر.

وقد شهد الأدب العربي الإفريقي المعاصر ازدهاراً لم يعهده من قبل؛ لأنه إلى جانب قرض الشعر وفن الكتابة الموروثين ظهر فن المسرحية، والرواية، والسيرة الذاتية، وفنون أدبية أخرى، وقد سوغ ذلك اتساع قنوات الاتصال ببلاد العرب عبر التكنولوجيا الإعلامية الحديثة وغيرها من وسائل الاتصال [٤].

هذا وتهدف هذه المقالة، إلى تقييم الأعمال القيمة لهذا الشاعر الإفريقي المثقف، ويسلط الضوء على أعماله وإسهاماته في مجال الأدب العربي، وهو عالم إفريقي موهوب ولديه أعمال كثيرة.

المطلب الأول: التعريف بالشاعر[٥]

لست هنا في مقام البحث عن أبي تمام وشاعريته، حتى أستعرض الآراء التي دارت حوله وتناولت شعره، ولكنني هنا في مقام البحث عن الابداعات الفنية والجمالية في شعره، ولذا سأقصر تعريفي بالشاعر على: نسبه، ومولده، ووفاته، وعلى أهم الروافد الثقافية التي جعلت منه شاعراً ومبدعا في الشعر العربي الإفريقي، لما لها من علاقة وثيقة بموضوع هذا البحث.

أولاً: اسمه نسبه:

هو عيسى بن أبي بكر بن محمد جمعة، لقد أفادت الوثائق التاريخية أنه ولد بمدينة **كُومَاسِي (غَانَا)** ثم هاجرت أسرته إلى نيجريا فسكنت مدينة أويو (oyo)، وقيل: إنه ولد بمدينة إلورين، وقيل: ولد بمدينة **لاَغُوسْ**، والرأي الأول هو أرجح الآراء بدليل قوله،**[بحر الكامل]:**

بِـــالشَّوْقِ جِئْتُك زَائِرًا يَا (غَانَا) فَـــإِلَـــيْكِ منِّي بالرِّضَا أَلْحَانَا
وَصَـــفُوا طَبِيعَتَكِ الجمِيلَةِ أَنَّهَا سِـــحْـــرٌ يُزِيلُ نُفُوذُهُ أَحْزَانَا
وَأَرَاكِ تَـــسْـــتَـــصْبِينَنِي بِرِعَايَةٍ كَـــالأُمِّ تُـــولِي طِفْلَهَا تَحْنَانَا
إِنِّي أُحِـــبُّـــكِ لاَ لأَجْلِ وَظِيفَتِي لَـــكِـــن لِكَوْنِي ابْنَكِ الوَلْهَانَا
إِنِّـــي أَرَى حُـــبَّ البِلاَدِ سَجِيَّةً عِندَ الرِّجَالِ فَطَابَ ذِكْرُكِ غَانَا
أَنَا شَاعِرُ القُطْرَيْنِ دُونَ مُنَازِعٍ أَفَـــلاَ أُذِيـــعُ لأَجْلِهِ إِعْلاَنَا

ثم انتقلت أسرته فيما بعد إلى مدينة إلورين ونزلت حيّ "مسفل غروما" بمنطقة غمبري، كما قال أحد الباحثين وكذلك سكن والد الشاعر بإحدى مدن بولاية **(كَدُونَا)** وكان يعمل تاجراً، ثم ترك التجارة إلى مهنة الخياطة حتى وفاته في شهر سبتمبر عام: ١٩٨٥م، في حادثة سير.

فنشأ عيسى طالب علم مجدّ، أحب العلم فوهبه الله إيّاه، وكان في نشأته متأثراً بالبيئة الدينية الإسلامية؛ إذ تلقى تربية طيبة على يد والديه وأدب على حب الدين والعبادة، وغذّي بالسلوك الصوفية. ولقد تكفلت عمته حليمة السعدية بعد والديه مسؤولية رعايته، فأشربته لبان الحنون والحب، وألهمته رهافة الحس ولطافة الشعور، إذ كانت دارها مأوى لطلبة العلم، ولم يكد ينتهي إلى البلوغ والرشد حتى برزت مخايل ذكاءه، وقويت شجاعته الأدبية خصوصا من عوامل البيئة التي رحبته في آفاق عديدة فنال منها ما يغذي قوته العقلية(٦).

ثَانيًا: نشأته:

بدأت حياة الشاعر العلمية في وقت مبكر حيث أدخل في الكُتّاب وعمره حينذاك تسعة أعوام؛ فلزم شيخه الحاج محمد بن عيسى غَمْبَرِي، وتعلم منه القرآن الكريم وشيء من مبادئ العلوم الإسلامية، ثم التحق بمركز التعليم العربي الإسلامي أغِيغِي، في ولاية **(لَاغُوسْ)** عام:١٩٦٥م، وكان المركز تحت رعاية الشيخ آدم عبد الله الإلوري المشهور بالعلم والتقوى، وهناك تم حصول الشاعر على شهادتي المرحلة الإعدادية والثانوية. ثم التحق بجامعة بَايْرُو بميدنة **(كَانُو)**، وحصل على شهادة الدبلوم، التي مكنته فرصة الإتحاق بجامعة **(إلُورِنْ)**، وحصل على شهادة الليسانس في اللغة العربية. وفي عام: ١٩٨٥م، عاد إلى جامعة بَايْرُو ليواصل دراسته العليا، وبعد حصوله على الشهادة الماجيستر، سافر إلى المملكة العربية السعودية عام: ١٩٩٠م، طلبا لحصول على لشهادة الدبلوم العالي في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها في جامعة الملك سعود بالرياض، وسرعان ما عاد إلى نيجيريا وسجل الدكتوراه بجامعة **(إلُورِنْ)**، وتم حصوله شهادته على الدكتوراه في عام ٢٠٠٠م.

ثم عين محاضراً بقسم اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي فقضي فيها عشرة أعوامٍ، ثم انتقل إلى جامعة **(إلُورِنْ)** محاضراً بقسم اللغة العربية؛ وظل هناك يدرس الأدب العربي والترجمة والرواية وغيرها من المواد العربية التي لها علاقة بميدان تخصصه(٧).

ثَالثًا: عناصر تكوين شاعريته:

ومن عوامل تكوين شخصية الشاعر الأدبية والعلمية، كونه متمكنا في العلوم العربية والإسلامية لمواظبته التعلم والتعليم ومن حسن حظه أنه تلقى هذه العلوم من كبار العلماء، أمثال الشيخ محمد بن عيسى أستاذه، والشيخ آدم عبد الله الإلوري مؤسس ومدير مركز التعليم العربي الإسلامي **أَغِيغِي**، فهناك عوامل عدة ساعدت في تكوين هذا الشاعرا الكبير، ومن أبرزها ما يأتي :

١-**العامل البيئي** : يتمثل في ثلاث بيئات :

- بيئة مدرسته بالمركز **أَغِيغِي** إذ تعد بيئة ترحب بكل المنافسات الجارية بين الطلبة الشعراء الذين تأثروا بأسلوب شيخهم.

– بيئة بلدته **إلُورِنْ:** فبعودة الشاعر إلى بلدته الحبيبة في حدود عام ١٩٩٤م، لقي كمية هائلة من التراث مثل المخطوطات والدواوين التي خلفها هؤلاء الآباء الذين قضوا حياتهم كلها في سبيل الدعوة.

– بيئة جامعة عثمان بن فودي **بِصُكُّتُو:** هذه المرحلة مكث الشاعر حوالي عشر سنواتٍ وهو يعمل محاضراً بشعبة الدراسات العربية؛ حيث عاصر كبار الأدباء والمفكرين الذين نقدوا شعره وقوّموه.

٢–**العامل الشخصي:** هذا العامل بالضبط ساعد الشاعر كثيرا، وقد رزق من تكوين شخصيته الأدبية بطابعها الخاص، فضلا عن ما أشرب به قلبه من حب العلم والقراءة والولع بالاطلاع على عيون الأدب، إذ استطاع أن ينكب على دواوين شعراء العرب القدامى منهم والمحدثون بعد الموهبة الفذة التي وهبه الله إياها حتى حفظ الكثير الكثير من أشعارهم، وانعكس كل ذلك في أسلوبه الشعري، وما أحاطت به من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، كل هذا وذاك ساعدت في تكوينه أديبا وشاعراً، لقد كان دكتور عيسى ألبي شاعرا عبقريا بامتياز، وكما يعد من أشهر الشعراء المجيدين في إفريقيا جنوب الصحراء في العصر الحاضر بلا نزاع[٨].

المبحث الثاني: عرض لبعض نماذج من شعره:

أوّلاً: ومن سباعياته قصيدة بعنوان: "**حلم**" يصف فيها الشاعر ما يراه في المنام قال **[بحر الطويل]:**

وَنَــوْمٌ أتَــتْــنَــا فيه خود جميلة وَهَل هي من جَمْـعِ الغَوَانِي بخيلةٌ
قَــضَــتْ عِــندنا وقتا لذيذا نحبه وَلَــكن لَــحْــظَاتِ اللّقَــاءِ قَلِيلَةٌ
وَكَــم مِن مَــنام نَبْتَغِي أن نُطِيلَهُ فــهل سَاعَـة النَّوَام صَاح طَوِيلةٌ
أَيَا مثْل ذَاكَ الطَّيْف زُرْنَا وَلَا تَــكُن لِــتَــبْـخَل إنَّ البُـخْل حَال رَذِيلَةٌ
سَــألْــنا اسمها لكنها لم تقل لنا سِــوى لفظـها الجَـذَّاب إنّي خَلِيلَةٌ
حَــكى وجْهَهَا بَدْر السَّماء كأنها بِــلَا مِــرية للبَدْر حُسْنًا جَمِيلَةٌ
فَــلَــمّا دَعَانَا فِي الصَّبَاحِ بِلَالُهُ ذَهَــبْــنا إليْـه وَالـقُـلُـوب ثَقِيلَةٌ[٩]

الخصائص الفنية في القصيدة:

١ – **مطلع القصيدة:** هو أول بيت من أبياتها، فقد عني به النقاد غاية الاعتناء حيث شبّهوا الشعر بالقفل ومطلعه مفتاحه، كما اشترطوا في المطالع أن يكون واضحاً لا غموض فيه، سهل المأخذ لا تعقيد في تركيبه، ولا صعوبة في فهم معناه، ولا ينافي ذلك أن يكون أسلوبه فخماً جزلاً، وشرطوا كذلك تناسب قسميها بحيث لا يكون شطرها الأول أجنبيّاً من شطرها الثاني[١٠].

وإذا نظرنا إلى مطالع الدكتور عيسى ألبي فقد اتسم قصائده بحسن المطالع الرائعة التي توحي للقارئ مضمونها بمجرد القراءة أو السماع، وذلك لحسن الافتتاح فيها؛ ولأنه أول ما يقرع أذن السامع فينشرح له صدره، وتهتز به نفسه، فيتشوق لما يأتي بعده، من ذلك قوله:

وَنَــوْمٌ أتَــتْــنَــا فيه خود جميلة وَهَل هي من جَمْـعِ الغَوَانِي بخيلةٌ

كما أن ابتداء القصيدة بمطلع اشتمل على ألفاظ عذبة، ومعنى صحيح وتعبير جذاب، يجعل السامع يقبل على استماع القصيدة أو القارئ في قراءتها من أولها إلى آخرها، فقد كان من سنة شعراء الجاهلية أن يفتتحوا قصائدهم بالوقوف على الأطلال وذكر الأحبة والنسيب وخير مثال في ذلك قول امرؤ القيس في مطلع معلقته:

قِفَا نَبْكِ من ذكرى حبيبٍ وَمَنزلِ بِسُقْطِ اللّوَى بين الدَّخُول فَحوْمَلِ

أما شاعرنا عيسى ألبي أبي بكر فقد خرج في افتتاح قصائده المختارة عن ذلك المنهج المتبع عند القدماء في افتتاح قصائدهم، فبدأ قصيدته بأسلوب مباشر أي دخل في الموضوع مباشرة دون أي مقدمة غزلية فقد استهل الشاعر قصيدته في صف ما حدث له بفتاة شابة حسناء تراءت له في المنام فأعجب بجمالها وحسن منظرها وتخيل لو أنه استطاع أن يظفر بها ويعيشا معا في جنة الحب غير أنها ما لبثت معه حتى انفلتت وتغربت على سبيلها، ويقول :

وَنَــوْمٌ أَتَــتْــنَــا فيه خود جميلة وَهَل هي من جمع الغواني بخيلة؟

قَــضَــتْ عِــندنا وقتا لذيذا نحبه وَلــكن لــحْــظَــاتِ الّلقَاءِ قَليلة

بهذا الافتتاح يمكن القول بأن الشاعر قد تأثر بالمنهج الذي دعا إليه رواد مدرسة الديوان، أمثال: العقاد وإبراهيم المازني، في نظم الشعر على الصورة الجديدة في شكل متسلسل ومنظم.

٢- **حسن التخلص:** فهو أن ينتقل الشاعر أو الناثر في كل فنّ من فنون الكلام إلى فنٍّ آخر، أو من موضوع إلى موضوع آخر بأسلوبٍ حسنٍ مستطابٍ، غير مستنكر في النفوس ولا في الألباب، وأحسنه ما لا يشعر المتلقي معه بالانتقال، لما أحدثه التمهيد المتدرّج من تلاؤم، أو لحسن اختيار المفصل الذي حصل عنده الانتقال(١١).

لقد أحسن الشاعر الانتقال من موضوع إلى آخر بطريقة لطيفة؛ بحيث لا يشعر القارئ أو السامع هذا الانتقال وبعد ذكره لذلك الحدث في المطلع، تخلّص إلى ذكر طبيعة النوم وطلب زيارة تلك الفتاة مجددا في الطيف لكن بلا جدوى وسأل عن اسمها، . فالطيف أمر مهم عند أهل الغرام يتوصل إليه بالمنام(١٢) .

وشبه وجهها بالبدر حسنا وجمالا فقال:

وَكَــم مِن مَــنام نبتغي أن نطيله فــهل ساعة النوام صَاح طويلة؟

حَــكى وجهها بدر السماء كأنها بِــلَا مِــرية للبدر حسنا زميلة

٣- **حسن المقطع:** ويسميه البعض من النقاد حسن الانتهاء: وهو أن يكون آخر بيت في القصيدة رشيق اللفظ مليح المعنى يظهر للسامع أنه آخر القصيدة؛ لأنه آخر ما يبقى في المسامع(١٣).

وقد امتازت قصائد الشاعر بحسن المقطع؛ وذلك لأنه يختتمها بخاتمة حسنة طيّبة، فيجعل براعة الاختتام أحيانا استدراكاً لما فاته في المطلع من أن يستهل بحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ فيقتحم موضوعه مباشرة، وهذا دأبه في أكثر قصائده، قريحته الشعرية متفتحة فيدخل في

الغرض الرئيسيّ للقصيدة بدون مقدمات. وقد جرت عادة الشعراء الأفارقة أن يختتموا قصائدهم بالدعاء والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك أن أغلب أغراضهم الشعرية غرض ديني تعليمي، فبالتتبع والاستقراء تبيّن أن شاعرنا لا يختم قصائده بالصلاة والدعاء على الرسول الكريم أو الصلصلة ونحوها؛ بل خلق أسلوبا مغايرا لما دأب عليه الشعراء الأفارقة إذ يقول في ختام هذه القصيدة وهو يعبر حال الناس وقت خروجهم لأداء صلاة الفجر بعد ما أذن المؤذن بالصلاة:

فَـــلـــمّا دَعَانا في الصباح بلاله ذَهَـــبْـــنا إليْـه وَالقلوب ثقيلة

يقول فإذا أذن المؤذن في الفجر إعلانا لدخول وقت الصلاة، خرج الناس إليه وفي قلوبهم شيء من الثقل لفراغهم من النوم في الوقت نفسه، وهو أمر طبيعي.

رَابِعًا: الخصائص اللفظية والمعنوية: فالألفاظ هي اللبنات الأولى التي تتكون منها الجمل والتراكيب، وهي التي تنقل الأفكار والعواطف، فهي من أهم مظاهر تكامل العمل الأدبي؛ بأن تكون الألفاظ متنوعة بين الفخامة والجزالة والسهولة والرقة تبعا لما يناسبها من المعاني، ومن أراد معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف كما قال الجاحظ، ومهارة الشاعر إنما هي في ملائمته الدقيقة بين ألفاظه ومعانيه. فالشعر هو عمل فردي يعتمد على الابداع يجمع بين التقاليد الشعرية، ولغة الحياة المعاصرة، ويكون مرتبط بالبيئة التي يعبر فيها الشاعر(١٤).

فبالرجوع إلى هذه القصيدة نلاحظ أنها تمتاز بجزالة الألفاظ وسهولتها ووضوح المعنى، فالقصيدة لا تحوي كلمات صعبة أومفردات تحتاج من السامع أن يفتح القواميس للبحث عن معانيها، بل هي ألفاظ واضحة الدلالة سلسة، وهي من الكلمات المتداولة بين الناس، فكلمات مثل: النوم، الوقت، اللقاء، الساعة، القليلة، الطويلة، اللحظة، من الكلمات التي لا يكاد السمع ينبو عن سماعها مع ما تحتويه من وضوح المعنى(١٥). وكما يلاحظ في القصيدة أن الشاعر استخدم نكتات بلاغية يمكن ذكرها في الآتية:

وفي قوله: **حكى وجهها بدر السماء كأنها بلا مرية للبدر حسنا زميلة**

تشبيه فقد شبه وجه الفتاة التي زارته في المنام بالبدر في الضياء والحسن وقد ذكر أداة التشبيه وحذف وجه الشبه، فالتشبيه مرسل مجمل. وفي قوله:

وكم من منام نبتغي أن نطيله وهل ساعة النوام صاح طويلة؟

إنشاء وهو: طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل، فالمتكلم يستشرف ويتطلع إلى معرفة ما لم يكن معلوما عنده من قبل، وهو معرفة النسبية التي هي النوم فلا يدري أ مثبتة هي أم منفية؟

وتوافر بعض العناصر الفنية على هذه الساحة البنائية مثّل ضرورة لابد منها، من نحو حسن التخلص، ولا سيما في الإنتقال اللازم بين غرض وآخر في القصائد التي جمعت بين أكثر من غرض، وهذا أمر تقليدي لجأ إليه الشاعر قديما للمحافظة على رصانة البناء الفني في قصائده التي تجمع بين أكثر من مضمون(١٦).

ويقول في مدح الشيخ عبد الله بن فودي يرحمه الله وهي قصيدة لاميّة تشتمل على خميس بيتا نذكر بعضًا منها يقول فيها[١٧] **[بحر الكامل]:**

يَـا شِـعْـــر أنت لرَوْنقي وجمالي ... أهْـــوَاك في حِلّي وفي تِـــرْحَالِي
مـــا زلـــت أبْـذل كل ما تهواه من ... دَأب الأديـــب بفِـــكْرَتِي وبمَالِي
وَوَضعت عرشك في مكان ليس تلـ ... ـمسـه يَـد الـتَّـــلويث والأطفال
فَـاليـوم لا تَـبْـخل على ضنانة ... جـد بالجَـــديد لشيخنا المفضال
الـشِّـــعْر مَـمْلكة وأنت مليكها ... شَـيْـــخي فخذ مني ضئيل مقالي
الـــشِّـعر بَـابٌ مُـــغلق ففتحته ... بِـمَـفـــاتِـــح الإلـهام والأمثال
الشِّـــعر قَـبْـلك في البلاد مقيد ... فَـــنـــجيته وفَـــككت كل عقال
فَـــإذا نَـظَّـــمْـت فللقلوب تحير ... وَإذَا نَـــثَـــرت أخَـــذت لُبّ رجال
قل لي سقى الرحمن قبرك بالرضا ... وَالـعَـطف يَـا رب القريض العالي
مِـنْ أيْـــنَ يَأْتِيكَ القَرِيضِ تَدَفُّقًا ... يَـــأتِي كَـــمَـــاءٍ هَـــاطِلٍ سَلْسَلِ؟
إن الـــتّـفاوت في المعارف ظاهر ... عَـبد الرّجَـــال عَـلى مدى الأحوال
أسْمى الذخائر في الحياة بلا مرا ... عِـــلْـــم بِـــه يَـــأتِـــيك كُـل جلال
إن الإمـــارة قـــد أَتَـــتْـك زيادة ... مُـــنـــقَـــادة عَـــفْوا بِدُون قتال
فَـــأرَيْـــتـــها حكم الرشيد ورأيه ... وَحَـــكَـــمت بالـــتَّـقوى بلا إشكال
يَـــأيُّـــها العربيُّ بين السود في ... هَـــذِي الـــديار نَـــظير مثلك غال
هَـــذِه الـــدِّيار يكاد يهدم ركنها ... ظُـــلم الرّجَـــال فحالت دون زوال
الـــفِـــتنة العشواء هبت ريحها ... بَـــيْـــن الـــفِئات بأهوال البلبال
فـــقَـــبـــعت ثورتها بكل مهارة ... وَبَـــسَـــالَة الـــشُّـــجْعَان والأبْطال
إنَّ الـــفَـــريد هو الفريد طباعة ... في وَقْـــت سِـــــلم أو زمن نضال
أَبْـــنَـــاء فُـودِي إن قرنكم لمن ... خَـــيْـــر الـــقرون لأعظم الأفعال
والعلم يَسْكب من سما شفاهكم ... سَـــكْـب الغـزير لمحو كل ضلال
هَـــذا كَـــفى درسًـا لنا علماءنا ... هَـــبُّـــوا إلى الإصْـــلاح بالآمال
آثَـــارُ عَـــبْـــد الله كيف نعدها ... تـــعْـــدَادهَا شَـــاقٌّ كَـــعد رمال
أيْـــن السَّـــبيل إلى لحاق غباره ... في الفَـضْل هذا الأمر يشغل بالي؟
إنَّ الـــتعصب في البلاد يضرنا ... وَيَـــكَـــادُ يَـــدْفَـــعنا إلى الآجال
والأرض تبـــخل لا تجود بخيرها ... وَسَـــمَـــاؤُنَـــا سَـقف بلا إسْبال[١٨]

الشرح والتعليق على القصيدة:

فقد استهل من أول قصيدته بالهوى والشوق إلى ممدوحه وذكر مهارته في وضع الشعر وقرضه وبذكر شخصيته وهويته وتفوقه على علماء عصره في العلوم، ثم تحدث عن نمط حياة المجتمع الحاضرة ودعوة الناس إلى الاقتداء بالممدوح، وذكر ما يدل على مقدرته في قيادة رعيّته وآثاره العلمية ومجهوداته.

فكان غرض هذه القصيدة مدح الشيخ عبد الله بن فودي الذي يُعد من كبار الأدباء العباقرة والقادة الأفذاذ والعلماء في دولة **صُكُّتُو** الإسلامية(١٩)، وصف الشاعر شيخ عبد الله بأنه شاعر عبقيري بارع في قرض الشعر، ولديه ملكة شعرية ومتى أراد نظمه تأتي إليه الأفكار المستقيمة. كان الممدوح متمكن ذو مهارة في جميع المعاريف والعلوم فاق علماء عصره، وهو أيضا حكيم له مهارة وتجربة في قيادة الرعية فكان يقود رعيته بالرشد والفطانة مع الإيمان والتقوى. وكما حث الشاعر المحتفلين في المهرجان بأن يقوموا بتجديد العهد لنشر العلم والعمل به اقتداءً بأسلافهم من مثل الممدوح.

ثم ذكر الشاعر بعض إنتاجات الممدوح بشكل منظم لطيف ورائع إذ وصف كل كتاب أنتجه الممدوح بما يلاءم عنوان الكتاب صفة تتطابق بغرض شعره، وتنسجم مع ما وضع لها من المعاني المعتادة عند العرب وخاصة في الشعر المديح بالتحديد، ويقول في كتاب ضياء التأويل: "**إن الضياء يضيءكل جوانب الأعمار**"، فمعلومات الواردة فيه تغطي قلوب النافعين بها بضوئها، فيهتدون بها إلى ما يعمر حياتهم الدينية، كما يهتدون بضوء الشمس إلى مقاصد حياتهم الدنيوية، فنسبة صفة الضوء للكتاب مقبول، بهذا لم يخالف الشاعر عما هو المعروف في طريقة العرب في وصف الأشياء بما يلائمها، وأن تعبيره موافق بالغرض وهو من المعاني الجزئية إذ أن ذكر كتاب الممدوح ووصف الكتاب بالصفة الجميلة جزء من شرف الممدوح ومدحه(٢٠).

ولقد صاغ الشاعر من المعاني في هذه القصيدة ما تحقق به غرضه، وكان بفطانته وذكاءه نفذ إلى ماهية غرضه وصوره، إذ جعل ممدوحه مثالًا نموذجيًا للمدح؛ واقرأ قوله في الممدوح يصفه بالعلم، فسماه أستاذا، ثم إنه لم يسكت حتى جعل العلم هو أعظم ثروة يملكها الممدوح وبه تفوق على جيله في عصره، مصورا ممدوحه بفريد عصره في مجال فضل العلم، قائلا:

أستاذ أعظم ما ملكت تفضلا علم صعدت به على الأجيل

فقد جعل الشاعر ممدوحه نموذجا إنسانيا في العلم وقد جاء هذه المعاني عفويًّا من دون تكلف، وهي منسقة ومرتبة، لتنبئ بفطانته وذكاءه في ضبط زمان شعره كي يتحقق من ورائها الغرض المنشود، ثم عاد ليقول:

أبناء فودي إن قرنكم لمن خير القرون لأعظم الأفعال

ويقول أيضًا:

العلم نور والجهالة ظلمة إن الجهالة أصل كل وبال

فقد شبه الشاعر هنا العلم بالنور والجهالة بالظلام من غير ذكر وجه الشبه ادعاء ومبالغة، ولكي يدعم ادعاءه في هذا المدح ويرفع معنى شعره إلى أقصى درجة من الصور الفنية في تصوير فضل ممدوحه في العلم فيقول:

أين السبيل إلى لحاق غُبَاره في الفضل هذا الأمر يشغل بالي؟

فهذا أعطى الشاعر الصور المثلى للتعبير الفني عن الغرض المطلوب في شعره من حيث البناء والأفكار الجزئية والصور التعبيرية [٢١]. ويقول الدكتور يوسو منكيلا[٢٢]: "بطبيعة الحال إن الأديب أو الشاعر بعامة يعتقد ويقول ما يعتقد، وأحياناً أخرى يعتقد ولا يقول ما يعتقد، وإذا ما حاولنا أن نصنّف الأدباء والشعراء وفق هذا المعيار يبقى الأديب الإفريقي أو الشاعر العربي الإفريقي من النوع الأول، لذالك نجد أن هذا الشاعر العربي الإفريقي يحدّد مواقفه بوضوح طبقاً لما يجده في محيطه، والذي يدفعه إلى ذلك إيمانه بالله عز وجل، وإدراكه للحرية الإنسانية، فالإنسان عنده يختار، وفي اختياره يضع الحلول لما يمكن تحقيقه؛ لأنه لايملك تحقيق كل الممكنات، لكن الإنسان ليس حراً فقط عند هذا الشاعر العربي الإفريقي، بل عليه أن يقول ما يعتقد وإلا فلا معنى لهذه الحرية التي يدافع عنها، فلذلك نجد أن الشعراء في إفريقيا جنوب الصحراء قد مرّوا في حياتهم بمراحل شاقة خطيرة، بعضها مغامرات منظمة، وأخرى تضحية، وقد نجد في الشعر العربي شعراء من مثل إيليا أبي ماضي وإبراهيم الأسطي عمر، وأحمد شوقي ما يذهب هذا المذهب، وقد جاء في ذلك قول أحمد شوقي:

قِفْ دُونَ رَأْيِك فِي الحَيَاةِ مُجَاهداً إنَّ الحَياة عقيدة وجهاد

وقول آخر:

ما قيمة الإنسان معتقدا إن لم يقُل للناس ما اعتقد

وقول آخر:

قيل صمْتاً فقلت لست بميت إنَّما الصمت ميزة للجماد

وكثيراً ما تردّدت في قصائد الشعراء الإفريقيين مثل هذه الأبيات التي فيها إصرار على تحديد موقف مع قول الحق، وضرورة إزهاق الباطل وإبادته؛ بغية تسليط الضوء على ما يجري في قارته من نزاعات وصراعات على حساب شعوب القارة لصالح الدول الغربية[٢٣].

ويقول عيسى ألبي أبو بكر، في قصيدة عنوانها «**إلى الشعراء**» **[بحر الكامل]:**

شُعَراءُ هَذَا الجِيل إنّي مِنكُم امْشُوا حَثِيثاً دَائِماً وتَقَدّمُوا

أَلْفَاظُكُم عند الشّرَارِ مَدَافِع رَشَاشَةٍ إيَّاكُم أن تَرحَمُوا

أفَلا تَرَوْنَ الظُّلْم يَمْلأ أرْضَناً ذُودُوا عن الوَطَن المُحَبّبِ يَظْلم

شَاعِراً بَذَلَ الجُهُودَ مغَازِلاً يَا للشّعر أبْعَاد فَيها نُقَدّم[٢٤]

إن هذه الأبيات صورة واضحة لثورة متأججة في نفس الشاعر على الظلم والظالمين، فهو يعلن حرباً ضد الإيديولوجيات الاستعمارية؛ مدركاً الأسباب الحقيقية التي دفعت الغرب الاستعماري إلى تقسيم قارته، وهذه الأبيات أيضاً إشعار للغرب الاستعماري وتنبيه لهم بأن بني وطنه على علم بما يقوم به الاستعمار من مكر وكيد وتخطيط في سبيل تمزيق صفوفهم وطمس الهوية الإفريقية، وفي البيت الأخير درس واضح ومفيد لمن يريد منهم الحقيقة، وهي أن اللونين الأبيض والأسود أخوان وحّدهما النضال الطويل والقديم في واقعهما الإفريقي.

وفي أكثر من قصيدة ومناسبة؛ أعلن الشعراء الإفريقيون عبر قصائدهم استمراريتهم والتزامهم بالدفاع عن القارة، والنهوض بها والنضال من أجلها، وقد عبّروا في أشعارهم عن حبهم للقارة حباً عميقاً، فهذا الحب هو المنبع الأول الذي تدفعت منه وطنيتهم وأشعارهم السياسية والاجتماعية، فما كادت تتفتح ملكاتهم الشعرية حتى أخذوا يؤكّدون هذا المعنى، وينظمون فيه، فنراهم في قصائدهم يشيرون إلى حقائق العصر، وأن الاستعمار الأوروبي مصدر كل الآلام التي تعانيها الشعوب المستضعفة، وما يراه حلاً نهائياً لتلك المشكلات والهموم، اسمع إلى قول الشاعر **[بحر البسيط]:**

إنَّ الشَّباب لهم دور الريادة في هَــذا المَــجَال فهم دِرْع لأمتنا
لأُمَّــة جَــسَّــدَ القرآن مبدأها لأُمَّــة تــحفظ الأخْلاق والسننا

ومن خلال قراءة لهذه الأبيات ندرك أن شعراء هذا الجيل من الإفريقيين هم شعراء جيل آمن بأن الشعر يجب أن يكون أداة إيصال وتبليغ، لا أداة تزجية فراغ، وأنهم حاولوا أن يجعلوا الكثير من أشعارهم منبرًا لآراءهم ومعرضا لأحاسيسهم ومشاعرهم(٢٥).

وللشاعر قصائد عدة تتركز على القيم الأخلاقية المنهارة من الشبان الناشئين، وهناك ظواهر خبيثة بدأت تطغى على عقول الشباب من جراء تنصل الآباء والمربين من حقوقهم وواجباتهم نحو أولادهم، ومن هذه الظواهر أننا نرى شبابا في هذا الجيل هم في العقد الثاني من أعمارهم يتعاطون التبغ والحشيش وغيرها من الحبوب المخدرة، وعلى هذا الأساس نظم الشاعر هذه القصيدة التي يدين فيها التدخين ومتعاطيه يقول **[من بحر الخفيف]:**

أيُّــها الشّعْر ثُـرْ على التَّدْخِينِ آفَــةُ العَصرِ فِتْنَةَ المِسْكِينِ
جَــعْــل الصدر مَرْتَعًا لِجَرَاثِيـ مَ وَقــد جَــزَّه بدَاءٍ دَفِين
مُــتَــعَــاطِــيه كان رهْنُ هَوَاهُ وَتَــرَاهُ يَسْعَى له كل حين
كَــيْــف يَحلوا لعاقل يبذل الما لِ لِــيــلقي بنفسه في فتون
وَسَــمــاء القلوب أنقى صفاء كَــيف تلتاث بالدخان المبين ؟
إنَّ تَــلويث صفحة القلب بالكَرْ بُونِ عَيْبٌ يُدْنِي لُبَابَ المَنُونِ
زُرْهُ فِي بَــيْــته تجد أن سحبًا منعت من ظهور ذاك الجبين

قَـــال سِـــيجارتي تنشط يوْمِي هي في عزلتي شفاء شجوني
هي أشهى من الأماني العذاب فَـلِـــهَـــذا يهفو إليها حَنِينِي
وَبِـــهَـــا أنـــفُـــث الـكآبة عنّي كُـــلَّـــمَا اشتدَّ لذْعهَا كَالأَتُونِ
لَـــيْـــس في كفّها المنايا فكُفُّوا عَـن ظُنُونٍ تَـهْوي أَمَامَ يَقِينِي
إنّ إصْـــــرَارَه العَنِيدِ عَلى التِّبْـ غِ مُـــضرّ فَـــهَـلْ مِـــن معين
فَـــارْحَمُوا حَالهُ الكَـئِيبة يَا قَوْ مِي فَـــقد كان مِثل شاة قفين
وَجَـــزَا الله كُـــل من قام خيرًا لِـــيَـــقِـــيـنَـــا مضَرّة التَّـدْخين[٢٦]

وقد عد الشاعر في هذه القصيدة الأمراض التي يسببها التدخين في الجسم، وقد أكد العلماء والأطباء والمفكرون بأن التدخين وباء للإنسانية، وإسراف يجب تفاديه وعلى الرغم من ذلك يروجه الناس باشترائه وإنتاجه، وذكر الشاعر جملة من أضرار التدخين منها: الجراثيم، والسعال والفقر، والموت المفاجئ، وقد فنّد الشاعر الترهات والأقاويل التي يتزعمها متعاطي الدخان بأنه ينشط الجسم والروح ويكشف الكروب والأحزان، فالحل الوحيد من ويلاته هو الإقلاع منه وتجنبه.

وقد اتجهت القصيدة إلى ثلاثة اتجاهات، فالاتجاه الأول يركز على الأمراض المرفقة بالتدخين من مطلع القصيدة إلى قوله:

زُرْهُ فِي بَـيْـته تجد أن سحبًا منعت من ظهور ذاك الجبين

والثاني تكذيب آراء يعتمد عليها المدخنين في تناوله من قوله:

قَـــال سِـــيجارتي تنشط يوْمِي هي في عزلتي شفاء شجوني

إلى قوله:

كَذَبَ الطِّبُّ حين حمّلها الدا ء فَجِسْمِي يَزْرِي بِلِيْثِ العَرِينِ

وأما الاتجاه الثالث فإنه انذار لهم، ونداء إلى الانقطاع بإنتاجه من قوله:

لَـــيْـــس في كفّها المنايا فكُفُّوا عَـن ظُنُونٍ تَـهْوي أَمَامَ يَقِينِي

إلى آخر القصيدة.

للشاعر قصائد عديدة يشكو بها معانات كابدها في حياته فضلا عن مشاعر الآخرين من آلام وآمال. وأحيانا تطول القصيدة في هذا الموضوع، واقصر أحيانا أخرى بحسب انفعال الشاعر بالموقف. وكلها شاهدة على تقلبات الحياة مرا وحلوا ومنها هذه القصيدة يشكو الشاعر جمود العقل وقلة الإنتاج منه، ويقول[٢٧] **[من بحر البسيط]:**

مَـــاذَا دَهَـــانِي إذْا اسْتَجْمَعت أفْكَارِي لِـــقَـــول شِعْرٍ فَلا تَنقَادُ أشْعَارِي
فَـــلا أزَالُ أنَـــاغِـــيـــهَـــا وأطْـــربها لَـــكِـــنَّـــهَـــا عبثًا تبقى بإصْرَارِ
هَـــل ذَاكَ ضُعْف دِمَاغٍ يا طبيب أجب يحـــــب ذَلك إضْـعافي وإضراري

أَعُــومُ فِي بَــحْــر أفكار بلا شَطَطٍ ... فَــلا أرَى دُرَرًا في بَـحْر أفْكَارِي
يَــا شِــعْرَ كن لي جَارًا ليْسَ يظْلمنِي ... وَأنــتَ تَــعْرف حقّ الجارِ للجارِ
مَــن ذَا الـذِي يَعْرف المأوى لأحمدنَا ... حَــتّى أبُــثّ إلــيه كلّ أسْرارِي
أَقُــول مِــن أيْــن يأتيك القريض بلا ... تَــوقّــف منه من بُخْلٍ وإضمار
أقُــومُ في كُــلّ لَــيْل ممسّكا قلمي ... وَلَا أنَــامُ إلى أعْــقَــاب أسْحَارِ
إنَّ الــقَــرِيــحة أمْسَتْ وهي جامِدَة ... يَــا ربِّ تَــسْمــع أقوالي وأعذَاري
مَــا أحْــسَــن الشعر يا مولايَ إنَّ له ... طــيبًا يَــفُوحُ يُحَــاكي رِدْن عطَّارِ
لَــه مِــيَــاه مِــيَــاه النيل تَحْسَدهَا ... مَــصــبُّها حِكْمَة لا بَطْن أحْجَارِ
قُــمْ حَيّ أَحْــمَــد شَــوْقِي إنَّه بطَلٌ ... قِــيَــامَ وُدٍّ وَتَــقْــدِيــر وَإكْبَارِ
وَقُــلْ جَــزَاكَ الإلَــه الواحد الصمد ... أَجْــرًا لِــكُــل مَــقَالاتٍ وَأشْعَارِ
مهما يكن لي ضعْف في القريض فلا ... يَكُونُ لِي الضّعْفُ في تَمْجِيدِ آثَارِ

نظر الشاعر إلى جمود العقل من مصيبة طرأت عليه لعدم إنتاجه الشعر على الرغم من كراهيته لهذا العقم، وكلما استنتج يستعصيه القلم فأشكل عليه الأمر، هل كان سببه ناجما من الكسل أم ابتلاء من الله ؟ وقد كان يغوص في بحر الأفكار ويجول ثم يعود صفر اليدين. فعرف أن العلاج الوحيد لهذا الداء هو أن يتوسل بالنبي الكريم لعل الله يرجع إليه موهبته، وقد شاء أن يطير صيتّه في آفاق البلاد؛ لأن طبيعة الشعر أن ترفع صاحبه إلى آفاق السماء كما طار لأحمد شوقي إلى بلاد العرب وغير بلاد العرب، ونال به حرمة وتقديرا لا يتصوران في مجال الأدب العربى خصوصا في الشعر.

والحق أن الشعر يتمرد على صاحبه أحيانا؛ إذ يعجز الشاعر المفلق من أن يأتي باالقصيدة في وقت يريدها، وإن كان في كثير من الأوقات تلين له قناته فتدفق إلى فكره، ويستولى على قلبه، ولا يرتاح باله إلا إذا لبّاه، ثم اختتم قصيدته على أنه مهما كان الحال يمجد آثار سابقيه من علماء وشعراء تبركا بهم، وتخليدا لآثارهم. وفي إحدى سباعياته حول الشرق والغرب يقول **[من بحر الكامل]:**

الــغَــرْبُ يَــنْــمو دائمًا وينمّقُ ... والشَّرْقُ كالثَّوب البلى يمزّقُ
جَــعَــلوه كالكرة المدحرجة التي ... لاتَــسْتَقِرُّ فلا ترى من يرْفُقُ
جَــعَــلُوهُ أرْضَ بَلابلَ وقلوبهم ... في كُــلّ مَــا يأتُونه لاتخْفَقُ
وَالــغَــرب في رَغَدِ الحَياةِ مُنَعّمٌ ... والشرق يطعنه العدوّ الأزرق
زَرَعُــوا بُذُورَ الحِقْدِ بيْن شُعُوبِهِ ... وَبُــيُــوته جُــدْرانها تتشقق
مِــنْــه أتَى النُّــورَانِ نُور محمد ... وابْــن البَتُول ليَسْتَنِيرَ مُوَفَّق
سَيَظَل نُورَ الشَّرْقِ يَسْطَع فَوْقَنَا ... فَــدعاؤنا أن يسْتقرّ المَشْرقُ[٢٨]

لم يفت الشاعر في هذه السباعية أن يعرض المدح والثناء، سوى أنه يبذل مدحه للرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام. إنه يتميز بميزة الابداع والفن؛ إذ استطاع الشاعر أن يصوغ أفكاره ومشاعره بطريقة سهلة واضحة البناء والمعنى، وخالصة التراكيب والجمل وخير نموذة في ذلك قوله في الحبّ:

الـحُـبُّ نَـار خُبُوُّهَا صَعْبٌ يُـحِـسّهَا كُلّ لحْظَةٍ قَلْبُ
عَـرفْـتـه وَالحَياة نَاعِمَةٌ يَـسِـير والعُودُ ليّنُ رَطْبُ
حَـاوَلـتُ نِـسيانه فأرَّقنِي خَـيَـالُه تَـرْكُ مِثْله كَذْبُ
من عرف الحب كيف يعتبني والله من شِيمَةِ الوَرَى عَتْبُ
مَـن ذَاقَ نار الغَرَامِ يَعْذُرني لَـوْمٌ مـعَنّى مدلّه ذَنْـبُ
وَسُـورَةُ الـحبّ لا يهدّأها إلَّا كَـلامٌ مُـحبّبٌ عذْبُ
الحُـبُّ دَاءٌ يـديمُه النظر كذا الحديثُ الجَمِيلُ والقُرب(٢٩)

يبدو في هذه الأبيات نضوج شاعرية الشاعر وتفوقه وعبقريته، وفيها معان شامخة وأخيلة عالية.

ويقول في عيد الأم:

هَـدِيَّـةُ الأمّ مِـنّي بَـاقَةُ الشّعرِ والشعْرُ أفْضَلُ ما يُهْدَى لمَن يَدْرِي
مَـا أرْحَـمَ الأمَّ في الدّنيَا وألْطَفَهَا فَـخُـلْـقُـهَا كَنَسِيمٍ مَرَّ بالزَّهْرِ
قَدْ جَاء عِيدُكِ بالذّكْرى ووَجْهُكِ في يَـوْمٍ أغَـرَّ يَسُرُّ الكَوْنَ بالبِشْرِ
خَـيْـرُ البنُوَّةِ في خيْر الأمومةِ إذْ مِـن جَيّد النَّـخْلِ يَأتِي جَيّدُ التَّمْرِ
مَـنْ لَمْ يَـفُـتْهُ حَنَانُ الأُمَّهَاتِ فَقَدْ نَـالَ الجَمِيـلَ وَأَحْلَى لَذَّةِ العُمْرِ
يَـا أمَّ عِيدُكِ أجْرُ الصَّالحَاتِ فَمَنْ رَبّى صَـغِـيرًا تَلَقَّى طَيّبَ الشُّكْرِ
يَـا أمَّ تَـبْقَيْنَ في الدُّنْيَا وأنتِ لَهَا سِرُّ الـحَـيَاةِ وَرَمْزُ الحبّ والصَّبْرِ(٣٠)

وقد استطاع الشاعر في هذه السباعيّة أن يختار الألفاظ الموحية المثيرة للعطف والحنون مثل قوله: **خلق، نسيم، زهر، حنان، جميل، أحلى، لذّة، أجر، تلقى، سرّ الحياة، رمز الحب**، وغيرها من الكلمات المناسبة لمقام الأمّ ودرجتها. ويقول في وصف الهاتف المحمول:

آلَةٌ مِـثْـل عـلبةُ الكبْريتِ صَـوْتُـها مثل رَنَّةُ العِفْريتِ
نَفْـعهَا لا يقاس يحملها كُـ ـلُّ عَـقِـيـلٍ مـكـرَّمٍ خِرّيتِ
هِيَ أغْلَى رَفِيقَةٍ تحْمِلُ الصَّوْ تَ إلى الناس وهي غيْرُ فُوِيتِ
آيَـةُ الـعلْمِ حَرَّكَتْ بصدَاهَا كُـلّ سَـاجٍ وَهَـامِدٍ وخَفِيتِ
هَـاتِفُ العصْر نَاعِمٌ وجَمِيلٌ خَـفَّ حتَّى حكَى ذُبَالةَ زِيتِ
قَـرَّبَ الـبُعْدَ للأنَامِ ويَأتِيـ ـك بِـصَوْتٍ ممَّنْ تُحِبُّ حَمِيتِ
فَـاقْتِنَاعُ المَحْمولِ واللِ غُنْمٌ فَاحْـفِظُوه من نَاقِصٍ وخَبِيثِ(٣١)

ومما ينفث روح الفن في هذه السباعية كثرة صياغة ضروب من التشبيهات والمجازات والاستعارات؛ ولأجل ما يحتويه من روائع الأفكار، والعواطف، والأخلية وما يصاحبه من سلامة الموسيقى الداخلية والخارجية، فالموسيقى الداخلية تشكل جانبا مهما من جوانب بناء القصيدة[٣٢].

لولا الخوف من الإطالة لبينت ذلك ولكن لنا لقاء في مقالة آخر إن شاء الله بعنوان: القيم الجمالية في شعر دتور عيسى ألبي أبو بكر دراسة موضوعية فنية.

الخاتمة:

من خلال دراستنا لشعر الدكتور عيسى ألبي أبو بكر، تبين أن أسلوبه في القصائد كلها لم يكن على مرتبة واحدة، منه ماهو قوي جزل جذاب، يرفع درجت الشاعر بين الشعراء المفلقين من العرب انفسهم، وهذا النوع من الإنتاج يظهر خصوصا اذا كان بينه وبين الممدوح ثلة لاتنكر.

وقد رأينا من خلال بحثنا لقصائده أنه أكثر من استعمال بحر الخفيف، وبحر الكامل، ثم بحر البسيط، ولعل السبب في ذلك أن الشعراء قبله قد آثروا بحوراً على أخرى من بينها الكامل والبسيط والطويل والوافر، وتجاهلوا بقية البحور.

وكما لا حظنا إن الشاعر استعمل بعض الحروف للقافية، ولم يستعمل بعضها تجاهلا، ومن الحروف المستعملة منها الألف، والباء، والتاء، والحاء، والدال، والذال، والراء، والعين، والفاء، والقاف، والسين، والشين، واللام، والميم، والنون، والهمزة، والبناء. وهذه الحروف تعددت في القصائد ما عدا ثمانية حروف لم يستعملها هي الخاء، والزاء، والصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والغين، والواو.

الهوامش:

(١)- **راجع:** الخصائص (تحقيق عبد الحميد بن محمد) القاهرة، المكتبة التوفيقية، (ج١) (بدون تاريخ)، ص: ٤٧.

(٢)- **راجع:** النقد الأدبي عند اليونان، بدوي طبانة، بيروت، لبنان، دار الثقافة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص: ٥٢.

(٣)- **راجع:** كمال بدري: "الشعر العربي في نيجيريا في القرنين التاسع عشر والعشرين"، في: مجلة دراسات عربية، قسم اللغة العربية، جامعة بايرو-كنو، نيجيريا.

(٤)- **نفس المرجع.**

(٥)- **راجع:** ترجمته في: السبك المعجمي في ديوان السباعيات، ص:٥، وقراءة في ديوان السباعيات، رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وصور من عناصر المعاني الشعرية لدى الشاعر عيسى ألبي ص:٥، وصور من المحسنات البديعية في ديوان عيسى ألبي، والاتجاهات الموضوعية والدراسة الفنية في شعر عيسى ألبي أبو بكر.

(٦)- **راجع:** الاتجاهات الموضوعية والدراسة الفنية في شعر عيسى ألبي أبوبكر، سليمان إبراهيم غروما، اطروحة مقدمة للحصول على شهادة الدكتوره في اللغة العربية وآدابها، قسم الدراسات العربية والإسلامية، جامعة ولاية كوغي، أينغبا، م ٢٠١٦، ص:٨.

(٧)- **راجع:** صور من المحسنات البديعية في ديوان عيسى ألبي أبي بكر الإلوي دارسة تحليلية بلاغية "موسى عبد السلام مصطفى" مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور باكستان، العدد الخامس العشرون، ٢٠١٨م.

(٨)- **راجع:** السبك المعجمي في ديوان السباعيات، ص:٥، وقراءة في ديوان السباعيات، رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وصور من عناصر المعاني الشعرية لدى الشاعر عيسى ألبي ص:٥، وصور من المحسنات البديعية في ديوان عيسى ألبي، والاتجاهات الموضوعية والدراسة الفنية في شعر عيسى ألبي أبو بكر.

(٩)- **راجع:** السبك المعجمي في ديوان السباعيات، ص:٥، وقراءة في ديوان السباعيات، رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ص:١٢.

(١٠)- **راجع:** أسس النقد الأدبي عند العرب، صـ:٢٧٥.

(١١)- **راجع:** أسس النقد الأدبي عند العرب، صـ:٢٨٦. والبلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج١/٤٨٠.

(١٢)- **راجع:** انساق الخطاب الشعري عند ابن الفارض دراسة في ضوء النقد الثقافي، ص: ٦٣، مجلة جامعة التكريت للعوم الإنسانية، يونيو ٢٠٢١م.

(١٣)- **نفس المصدر**

(١٤)- **راجع:** أسلوبية القصيدة الزهدية الأندلسية، مجلة جامعة التكريت للعوم الإنسانية، المجلد:٢٥، العدد١٠، ٢٠١٨م.

(١٥)- **راجع:** أسس النقد الأدبي عند العرب، صـ: ٢٩٤.

(١٦)- **راجع:** الخطاب الوعظي في شعر أبي زيد الفزازي ص:٢١٣

(١٧)- **راجع:** اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص:١٨٩. وصور من عناصر المعاني الشعرية، ص:١٦.

(١٨)- **راجع:** اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص:١٨٩. وصور من عناصر المعاني الشعرية، ص:١٦.

(١٩)- خلافة صُكُتُو، أو سلطنة الفولاني (امتدت من: ١٨٠٤م – ١٩٠٣م) دولة إسلامية تأسست في شمال نيجيريا ضمت ثلاثين إمارة اعتمدت في ادارتها للقضاء، على أسس مذهب الإمام مالك، وساعدت في توحيد القبائل والممالك في غرب السودان في ظل إدارة واحدة. وتحتل صكتو موقعا فريدا في تاريخ نيجيريا، حيث بدأ فيها العالم الإسلامي ومؤسسها

عثمان بن فوديو جهوده لتجديد الفكر الإسلامي وتوحيد مناطق السكان الناطقين بلغة الهوسا تحت ظل إدارة واحدة مركزها المدينة.

(٢٠)- نفس المصدر

(٢١)- راجع: صور من عناصر المعاني الشعرية، ص:١٨.

(٢٢)- دكتور يوسو منكيلا: باحث في قسم اللسانيات واللغات المحلية بمعهد الأبحاث في العلوم الإنسانية جامعة عبدو مؤمن، وأستاذ الأدب والنقد العربي بالجامعة الإسلامية في النيجر (د.ت).

(٢٣)- راجع: الأدب العربي الإفريقي بين الأصالة الإسلامية والمتعة الفنية، ص:٨٧.

(٢٤)- راجع: نفس المصدر

(٢٥)- راجع: الشعر العربي في الأدب الإفريقي، ص:٤٠.

(٢٦)- راجع: دور الشعر العربي في النهوض في إفريقيا، يوسو منكالا.

(٢٧)- راجع: صور من الاتجاهات الوجدانية في شعر عيسى ألبي، ص:١٧.

(٢٨)- راجع: صور من الاتجاهات الوجدانية في شعر عيسى ألبي، ص:١٤٧.

(٢٩)- نفس المصدر

(٣٠)- راجع: قراءة في ديوان السباعيات عيسى ألبي أبوبكر، ص:١٥٣.

(٣١)- راجع: السبك المعجمي في ديوان السباعيات، ص:٣٥٦، وقراءة في ديوان السباعيات عيسى ألبي أبوبكر، ص:١٥٣.

(٣٢)- راجع: أسلوبية القصيدة الزهدية الأندلسية، مجلة جامعة التكريت للعوم الإنسانية، المجلد:٢٥، العدد١٠، ٢٠١٨م.

REFERENCES:

1-Abbo Souleymanou (2021), The Artistic and Aesthetics Value in the Collection of Al-Hamassiya by Abu Tammâm" Journal of Tikrit University for Umanities.

2-Abu Bakri Ali, (1972) al-Tcaquafat al-arabiyyah fi Naijiriya**,** Mouassassah Abd Al-Hafiz Al-bassad, Beirout libanon.

3-Al-Alury, Adam Abdullah (1992), Al-Misbah Addirassat Al-Adabiyyat Fi Diyar Nigeria, Mouassassah Abd Al-Hafiz Al-bassad, Beirout libanon.

4-Badawii Tabbanah,(1986) Al-Nagdu Al-Adabi Inda Al-Yunan, Dar al-Tcaquafat, Beirout Libanon.

5- **Djamba Mashud Mahmud (2017),** Kiraa fi Diwan Al-Soubaiyyah d'Issa Albii Abu Bakri, Rabitah Al-Adab Al-Alamiyah, Arabie saoudite.

6-John Hunwich, (1997)"The Arabic Literary Tradition of Nigeria" in Irele, ed.Research in African Literatures, USA.

7- **Hamad Mahmoud Al-Doukhi (2021)** Systems of Poetic Discourse in Ibn Al-Faridh's Poetry: A Study in the Light of Cultural Criticism,Journal of Tikrit University for Humanities, June.

8- **Khalilullah Muhammad Bodovo,(2019)** Al- Sabkul Maazami fi Diwan Al-Soubaiyyah d'Issa Albii Journal of Ilorin University, N.21-2-2019.

9- **Kamal Badry (2018),** Ashiirou AL-Arabi fi Naijeria, Journal of University Bayero Kano N. 17.21.

10 - **Kaba Imran (2011)**, Ashirou Al-Arabi fi Al-Adab Al-Ifriki ISESCO Journal

11- **Mussa Safi Abdulkader (2019),** Souar min Anassir Al-Maanii fi shiir Dr Issa Albii AJSP Journal.N.7.

12-Nijar Shakour Shakir (2013) Al-Khitab Al-Waazi fi Shiir Abi Zayd Al-fazaziyu, Journal of Tikrit University for Humanities. 20-12.

13- **Suleyman Ibrahim Garuma (2017),** Al-Ittizahat Al-Mauduiyyah fi shiir Dr Issa Albii AJSP Cogui Nigeria.

14-**Yassir rashid hamd albayati (2018)** Uslubiat alqasidat alzahdiat al'andilsia (abu aishaq al'albiri anmwdhjaan Journal of Tikrit University for Humanities.No:25-10.